

الإتقان في علوم القرآن

على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه .

وكلام القرآن منزّه عن هذه الاختلافات فإنه على منهاج واحد في النظم مناسب أوله وآخره وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين وكلام الآدميين تتطرق إليه هذه الاختلافات إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف في منهاج النظم ثم اختلاف في درجات الفصاحة بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة لأن الشعراء والفصحاء في كل واد يهيّمون فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونّها وتارة يمدحون الجبن ويسمونّه حزما وتارة يذمونّه ويسمونّه ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونّها صرامة وتارة يذمونّها ويسمونّها تهورا ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند إنبساط الطبع وفرحه وتتعدّر عليه عند الإنقباض وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب ذلك إختلافا في كلامه بالضرورة فلا يصادف إنسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد ولقد كان النبي بشرا تختلف أحواله . فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه إختلافا كثيرا .

السابع .

5318 - قال القاضي فإن قيل هل تقولون إن غير القرآن من كلام الله معجز كالنوراة والإنجيل قلنا ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف وإن كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار بالغيوب وإنما لم يكن معجزا لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولأننا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع في القرآن ولأن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع فيه التفاضل الذي ينتهي إلى حد الإعجاز وقد ذكر ابن جني في الخاطريات في قوله قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى أن العدول عن قوله وما أن نلقي